

الاحد الثالث عشر من زمن العنصرة
عيد انتقال السيدة العذراء الى السماء
رومية ١٢ : ٩-١٥
لوقا: ٤٦-٥٥
مريم تحفة الخلق والفداء

تحتفل الكنيسة اليوم بانتقال امنا وسيدتنا مريم العذراء بنفسها وجسدها الى السماء، وتسميه، الكنائس الشرقية "نياح" العذراء. فبعد ان انتهت العذراء مريم الكلية القداسة مسيرة حياتها على الارض، رُفعت بالنفس والجسد الى مجد السماء، حيث تشارك بمجد قيامة ابنها يسوع، مستبقة قيامة كل اعضاء جسده. وكونها ام الكنيسة، فانها تواصل من السماء عناية امومتها باعضاء جسد المسيح^١.

اولاً، القراءات المقدسة

من انجيل القديس لوقا ١ : ٤٦-٥٥

فَقَالَتْ مَرْيَمُ: "تُعْظَمُ نَفْسِي الرَّبِّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخْلِصِي، لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى تَوَاضُعِ أُمَّتِي. فَهَذَا مِنْذُ الْآنَ تُطَوِّبُنِي جَمِيعُ الْأَجْيَالِ، لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ، وَرَحْمَتُهُ إِلَى أَجْيَالٍ وَأَجْيَالٍ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ عِزًّا بِسَاعِدِهِ، وَشَتَّتَ الْمُتَكَبِّرِينَ بِأَفْكَارِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الْمُقْتَدِرِينَ مِنَ الْعُرُوشِ، وَرَفَعَ الْمُتَوَاضِعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ، وَصَرَفَ الْأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. عَضَدَ إِسْرَائِيلَ قَنَاءً ذَاكِرًا رَحْمَتَهُ، لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسَلِهِ إِلَى الْأَبَدِ، كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا".

انه النشيد الذي انشدته مريم العذراء، اثناء زيارتها لاليصابات. وهو نشيد التعظيم للرب الغني بالرحمة من جيل الى جيل. تعظمه على ما اجرى فيها وعلى يدها من عظام كانت في اساس انتقالها بالنفس والجسد الى السماء، وهي من صميم العقيدة المسيحية. هذه العظام هي:

أ- اختيار الله لها في سرّ تدبيره الخلاصي لتكون ام ابنه مخلص العالم، فعصمها من دنس الخطيئة الاصلية الموروثة من ابونا الاولين آدم وحواء، وملأها نعمة مكنتها من التجاوب مع تدبير الله بكلمة "نعم" ومن تكريس ذاتها لتدبير الله الخلاصي بطاعة الايمان. بالنعمة التي ملأتها نالت مريم الفداء من اللحظة الاولى للحبل بها، واضحت مثال المفتدين. ان عقيدة الحبل بلا دنس اعلنها البابا الطوباوي بيوس التاسع في ٨ كانون الاول ١٨٥٤.

ب- بتولية مريم العذراء قبل ولادة ابنها واثناءها وبعدها. انها دائمة البتولية كما علمت المجامع المسكونية^٢. لقد كرست مريم نفسها وجسدها لارادة الله الخلاصية، ولشخص ابنها وسرّ الفداء كأمة للرب (لو ١: ٣٨). وحبلت مريم بيسوع ابنها بقدرة الروح القدس وحدها ومن دون زرع رجل، كما اعلن المجمع اللاتراني سنة ٦٤٩. وسبق اشعيا وتنبأ قبل ٥٠٠ سنة: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً" (اشعيا ٧: ١٤؛ متى ١: ٢٣). رأى آباء الكنيسة في الحبل البتولي العلامة الدالة الى ان ابن الله جاء حقاً في بشرية مثل بشريننا. ان "اخوة يسوع" المذكورين في الانجيل هم، حسب تعبير الكتاب المقدس، اقرباؤه الاقربون^٣.

ج- امومة مريم الالهية. مريم ام يسوع ابن الله. علمت الكنيسة في مجمع افسس المنعقد سنة ٤٣١ ان الذي حبلت به مريم كانسان بقوة الروح القدس، واصبح حقاً ابنها في الجسد، هو ابن الابن الازلي، الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس. وبالتالي مريم هي حقاً ام الاله (Theotokos).

^١ كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٩٧٤-٩٧٥.

^٢ مجمع القسطنطينية الثاني، المجمع اللاتراني سنة ٦٤٩؛ المجمع الفاتيكاني الثاني في الدستور العقائدي في الكنيسة، ٥٧.

^٣ انظر تكوين ١٣: ٨ و ١٤: ٦ حيث ابرام ولوط يسمون "اخوة"، فيما لوط هو ابن شقيق ابرام؛ ٢٩: ١٥ حيث يعقوب ولايان يدعون "اخوة" فيما الاول هو خال الثاني.

د- امومة مريم الروحية ومشاركتها في عمل الفداء. امومتها الروحية لجميع البشر بشخص يوحنا تسلّمها من ابنها يسوع من على الصليب: " يا امرأة هذا هو ابنك. يا يوحنا هذه امك" (يو ١٩: ٢٦-٢٧)؛ ورأها يوحنا في رؤياه: عندما غضب التين على المرأة، فذهب يشنّ حرباً على باقي نسلها، الحافظين وصايا الله، والذين لهم شهادة يسوع" (رؤيا ١٢: ١٧). مريم اعطت ابناً جعله الله بكرّاً لاخوة كثيرين (روم ٨: ٢٩)، هم المؤمنون الذين تعاون ام الاله بحب الام في ولادتهم وتنشئتهم، كما يعلم المجمع الفاتيكاني الثاني^٤. بامومتها البتولية، شاء الله ان يُشرك مريم في رسالة الفداء التي سيحققها ابنها يسوع لصالح البشرية جمعاء. فهو آدم الجديد الذي يدشنّ بالحبل البتولي ولادة ابناء الله بالتبني في الروح القدس بالايمان، " لا بالدم أو برغبة رجل او بارادة انسان، بل من الله (يو ١: ١٣).

ه- مريم العذراء والام هي صورة الكنيسة وتحقيقها الأكمل. فالكنيسة، بقبول كلمة الله بامانة، تصبح هي ايضاً امّاً. وهي بالكراسة والمعمودية تلد ابناء حياة جديدة وغير مائتة. وهي العذراء التي تحفظ بشكل شامل ونقي الايمان الذي اعطته لعريسها، كما جاء في تعليم المجمع الفاتيكاني الثاني^٥. من اجل كل هذه العظائم، تنبأت مريم في نشيدها وقالت: " ها منذ الآن يعطيني الطوبى جميع الاجيال، لان القدير صنع بي عظائم" (لو ١: ٤٨-٤٩).

ان بولس الرسول يعدد في رسالته لهذا الاحد قواعد الحياة الجديدة، التي هي من ثمار ولادة المؤمنين الروحية بالايمان وعمل الروح القدس. هذه القواعد هي:

- المحبة الصافية الاخوية لجميع الناس، وكرامهم، وملازمة الخير، وتجنب الشر.
- الاجتهاد من دون تكاسل، والحرارة بالروح والعبادة لله.
- الفرح في الرجاء، الثبات في الضيق، المواظبة على الصلاة، البركة لا اللعنة للمضطهدين.
- تلبية حاجات الاخوة، واستضافة الغرباء.
- مشاطرة الناس افراحهم واحزانهم. (روم ١٢: ٩-١٥).

ثانياً، الرسالة العامة للبابا بندكتوس السادس عشر:

المحبة في الحقيقة، حول الانماء الانساني الشامل

من مقومات الانماء الانساني الشامل، نذكر اليوم العمل وقضية العمال (الفقرة ٢٥).

ان البحث الجاري عن أفضل منافع المناقشة في السوق العالمية، قد تسبب بتهديدات خطيرة لحقوق العمال، وحقوق الانسان الاساسية، والتضامن، كما أدى الى اضعاف شبكات الحماية الاجتماعية، وبالتالي الى فرز مواطنين عزّل ازاء الاخطار الراهنة، قديمها وجديدها.

ان مجمل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية تقود المنظمات النقابية الى مواجهة مصاعب كبيرة تحدّ من قدرتها على تادية دورها في تمثيل مصالح العمال، وهي مصاعب يزيد من حدتها ايضاً ان الحكومات غالباً ما تفرض، لاسباب اقتصادية، حدوداً للحرية النقابية او لقدرة النقابات نفسها على التفاوض. فمن الملحّ والحالة هذه انشاء منظمات للعمال، دفاعاً عن حقوقهم، لكي يُعطى، قبل كل شيء، جواب سريع وصريح عن ضرورة ارساء جماعات عمل مشترك، على الصعيدين الدولي والمحلي.

وتجدر الاشارة الى ان تحرك العمل، المرتبط بعدم الثبات العمومي، كان يشكل ظاهرة ايجابية قادرة على تنشيط خلق ثروات جديدة، وعلى التبادل بين الثقافات المختلفة. ولكن عندما يصبح مزماً عدم الثقة باوضاع العمل، بسبب مسارات التحرك وعدم الثبات، تظهر حينئذ اشكال من عدم الاستقرار النفسي، وصعوبات في بناء مسيرة شخصية متماسكة في الوجود، بما فيها الزواج. فينجم عن ذلك ظهور اوضاع انسانية مثلاً، دون الحديث عن تذبذب اجتماعي.

الاقصاء الطويل المدى عن العمل يقضّ حرية الشخص وابداعه، ويتسبب بان تلازم علاقته العائلية والاجتماعية الأمّ مبرحة على الصعيد النفسي والروحي. يجب على الحكام الملزمين باعطاء توجيه جديد للاسس الاقتصادية والاجتماعية ان يتذكروا بأن الشخص البشري بكامله هو الرأسمال الاول

^٤. الدستور العقائدي في الكنيسة، ٦٣.
^٥. الدستور العقائدي في الكنيسة، ٦٣-٦٤.

الواجب صونه وتعزيزه. يقول آباء المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني " الانسان، في الواقع ، هو الفاعل لكل حياة اقتصادية-اجتماعية ومحورها وغايتها^١.

ثالثاً، تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط

نتناول من وثيقة " اداة العمل" بعضاً من التحديات التي يواجهها المسيحيون في بلدان الشرق الاوسط، وهي كثيرة.
١. الصراعات السياسية في المنطقة (الفقرات ٣٢-٣٥).

انها تؤثر تأثيراً مباشراً على المسيحية في البلدان حيث هي قائمة.
الاحتلال الاسرائيلي للاراضي المقدسة يجعل حياتهم اليومية صعبة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والديني. في العراق ادّت الحرب الى نزاع دموي بين التيارات السياسية والمذاهب الدينية، فكان ضحايا من جميع العراقيين، ولاسيما من المسيحيين الذين يمثلون الجماعات العراقية الاصغر والاضعف، فيما الاسرة الدولية غير مبالية.

في لبنان انقسام المسيحيين أخذ في اضعافهم، وليس لاي فريق مشروع مقبول من الجميع. في **مصر** يتصاعد الاسلام السياسي، فيقابلة انعزال المسيحيين من المجتمع المدني، وتتغلغل الاسلمة في العائلات عن طريق وسائل الاعلام والمدارس، من دون وعي. في **بلدان اخرى**، ينوء المسيحيون مع سواهم تحت وطأة انظمة التسلّط والديكتاتورية. في **تركيا** ما زالت الممارسة الاسلامية الجارية باسم العلمانية المتنبسة.

نتائج هذه الصراعات السياسية ايجابية وسلبية: فظل بعض من المسيحيين راسخين في ايمانهم والتزامهم، محتملين التضحيات، ومساهمين في المشروع الاجتماعي المشترك. وبالمقابل يبأس بعضهم الآخر ويفقدون الثقة بمجتمعهم وبقدرته على ان يوفّر المساواة بين كل المواطنين، ويتخلّون بالتالي عن التزامهم، وينسحبون عن كنيستهم ومؤسساتهم، ولا يتفاعلون مع مجتمعهم.

٢. الحرية الدينية وحرية الضمير (الفقرات ٣٦-٤٠).

من حقوق الانسان الاساسية الحرية الدينية وحرية الضمير، من اجل العيش في جوّ من السلام والعدالة والاستقرار.

الحرية الدينية هي حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية بشكل علني ومعترف به رسمياً. اما حرية الضمير فهي حق الانسان ان يختار الايمان الذي يردد بضمير مستنير، وان يعيش في السر والعلن موجبات هذا الايمان ومستلزماته من دون عقبة، وان يغيّر معتقده.

ولكن في بلدان الشرق، تغيير الديانة يُعتبر خيانة تجاه المجتمع والثقافة والامة المبنية اساساً على تقليد ديني. وفي المجتمعات الاسلامية، الارتداد الى الدين المسيحي ممنوع لاعتباره نتيجة لاقتناص مفروض. وفي معظم الاحيان، مسيحيون يعتنقون الدين الاسلامي تحت ضغوط سياسية ومادية، ومن اجل مصالح شخصية وزوجية وعائلية. ثمة جماعات "انجيلية" تمارس الاقتناص المسيحي بشكل علني. فلا بدّ من حوار صريح بين الاديان والمذاهب المعنية لحلّ هذه الاشكالية.

اما **موقف الكنيسة ودورها** فهو الدعوة الى العيش بمحبة، لان من يمارس المحبة باسم الكنيسة، لن يحاول ابداً ان يفرض ايمانها على الآخرين؛ والدعوة الى التربية على الحرية وعلى احترام حرية الآخر، ولاسيما حرية الضمير وحرية العبادة. فينبغي على المدارس الكاثوليكية ان تتولّى هذه التربية. وتدعو ايضاً الى **مواصلة الخدمات الصحية والاجتماعية**، والعمل الراعي الذي يعلن ويشهد للقيم الانجيلية المتعلقة باحترام الحريات العامة. وتدعو اخيراً الى **تعزيز الاحتفال باليوم العالمي لحقوق الانسان**، واستخدام وسائل الاعلام لتلعب دورها البالغ الاهمية في التربية على هذه الحقوق.

^١. الكنيسة في عالم اليوم، ٦٣.

صلاة

ايتها البتول القديسة مريم، المنتقلة بنفسك وجسدك الى مجد السماء، رافقينا بنظرة حنانك، فيما نحن نجتاز بحر هذا العالم، لنصل الى ميناء الخلاص. اننا نعظم الآب معك على ما أجرى فيك من عظام، فجعلك تحفة الخلق والفداء، وصرت الطريق للبشرية الى عمق الشركة مع الله الثالوث. اشفعي بنا ونحن نستعد للعنصرة الجديدة عنصرة السينودس من اجل الشرق الاوسط لكي نرفع التحديات التي تواجهنا، فنحافظ على وحدة العائلة المشرقية، ونحمي حرية العبادة والمعتقد. ألهمي، يا أمة الله وخادمة سرّ الخلاص، المسؤولين المدنيين لكي يحموا حقوق العمال، فنتأمن لهم الحياة الكريمة مع طيب العيش تحت نظر الله وحسب مرضاته. فنرفع التمجيد والاكرام للثالوث القدوس الذي اختارك الاب والابن الروح القدس، الآن والى الابد، آمين.
